للمشابهة بينهما . كان ينكر هذا النقل ، ومازلت أذكر قوله إن المعنى الثانى ينشأ على كتف المعنى الأول . لقد كان فى هذا ومثله جسورا متأنيا معا . هل كان يلتمس العون فى شرح الاستعارة وما إليها من مصادر أوروبية ؟ لا أستطيع أن أجيب عن هذا التساؤل على اليقين ، ولكنه بداهة لم يكن ناقلا ولا مدعيا لنفسه غير ما تستحق . كل ما فى الأمر أننى شعرت بأن بعض نظراته فى البلاغة تتجاوب مع نظرات قرأتها فى الفكر الأوروبى . وقد يكون الأمر على خلاف ما أزعم ، ربما يكون قد وصل إلى أفكاره من خلال النظر الشخصى فى التراث العربى . لنترك هذه المسألة ولنقل إننى مازلت أذكر على الخصوص كيف كر بالهجوم على مسألة النقل فى الاستعارة ، وكيف قال بدلا من ذلك إن الأمر فى الرباط بين المعانى كالأمر فى الرباط بين أشياء أمام العين فى واجهات المحال الممتازة . . هذا تقريب كان يضطر إليه ليصل إلى عقول طلاب حديثى العهد بالدراسة والتجربة . ولكن هذا التقريب ذو مغزى خطير ، مغزاه أن الأشياء يضفى بعضها على بعض ، وأن تجاورها يغذوها جميعا ، فأين هذا من دعاوى النقل أو دعاوى الاستدلال على المعنى بمعنى ثان وما إلى ذلك . لقد تخيرت بعض أفكار الأستاذ أمين فى موضوع الاستعارة لأنه أعظم الجوانب وأكثرها أهمية وتعقيدا : ولا أملك هنا أن أشير إلى كتابات مطبوعة لأستاذى أمين فقد ترك فى كتاباته الأسس النظرية فحسب ، وترك فى عقول طلابه مبادىء تطبيقية وغير تطبيقية : وأنا أروى من الذاكرة وعلىّ إثم هذه الرواية إن خاننى الفهم أو خانتنى القدرة على ترجمة أفكاره[٧] .

---

( ٧ ) الحقيقة أن الأستاذ أمينا خامره الشك فى كثرة تقاسيم البلاغة فى موضوع الصور ، فقد تقسم القول بين استعارة وتشبيه ومجاز مرسل وكناية . كان يرى فى بعض الأحيان أن اللغة على هذا النحو تفرقت أكثر مما ينبغى ، وأن هناك أصلا عاما يحسن التنبيه إليه ، وأن هذا الأصل قريب جدا من فكرة يسميها باسم التجاور . هذا اللفظ سمعته منه ، وكما يتعاشر الناس تتعاشر المعانى ، وكما يأخذ المرء ويعطى تأخذ المعانى وتعطى . والكاتب مولع بالارتباط والتناغم على عكس العالم المولع بالتقسيم والتمييز ، هذا الارتباط والتجاور أو أعطاء الأشياء بعضها لبعض كان يعول عليه الأستاذ أمين . ويقتضى هذا أن أطراف التعبير تتبادل فيما بينها الأثر ، ويعتمد بعضها على بعض اعتمادا متبادلا . ومقتضى هذا أيضا أن ليس فى التعبير فكرة أصلية وفكرة ثانية خادمة لها ، فالكل خادم والكل مخدوم . ولا نستطيع إذن تحليل الصور فى ضوء النقل أو ضوء المشابهة والاستدلال والعدول عن لفظ إلى آخر لعلاقة غير المشابهة مثل الحالية والمحلية ، ففى كل الأحوال نجد نمطا من التفكير يوشك أن يكون مشتركا فى جوهره مختلفا بعض الأختلاف فى مظاهره ، هذا النمط المشترك يعبر الأستاذ أمين عنه بلفظ المجاورة ، ويستعين على وصفه وتقريبه بأن ترى الأشياء متباعدة تتجاذب ومتقاربة تتفاوت .=